

نشریه ادبیات پایداری

دانشکده ادبیات و علوم انسانی

دانشگاه شهید باهنر کرمان

سال اول، شماره اول، پاییز ۱۳۸۸

مظاهر ادب المقاومة فی شعر أحمد مطر* (علمی - پژوهشی)

دکتر جواد سعدون زاده

استادیار دانشگاه شهید چمران اهواز

چکیده

این مقاله، درباره جلوه‌های مختلف ادب پایداری در شعر احمد مطر، سخن سرای معاصر عراقی، نوشته شده است. در این نوشتار اشاره ای به زندگی شاعر و ویژگی‌های منحصر به فرد زادگاه او رفته است. همچنین، درباره عوامل تأثیرگذار در چکامه‌های او سخن به میان آمده است. در این مقاله، ادب مقاومت یا پایداری در موضوعات ذیل مورد نقد و تحلیل قرار گرفته است:

الف: تبعیدگاه

ب: وطن دوستی

ج: فلسطین

د: قدس

هـ: تعهد ملی

و: لبنان

ز: عراق سرزمین گذشته پر افتخار

ح: فرزندان سنگ

ط: آزادی و مبارزه

ی: سلطه آمریکا

واژگان کلیدی

شعر، احمد مطر، ادب، مقاومت، پایداری.

* تاریخ دریافت مقاله: ۱۳۸۸/۷/۲۰ تاریخ پذیرش نهایی مقاله: ۱۳۸۸/۹/۳۰

نشانی پست الکترونیک نویسنده: _____

١- المقدمة

لاشك أن الشعر من المظاهر العظيمة التي تستنهض همم الشعوب، ضد إرادة الطغاة الذين لا يعرفون إلا الكبت والقمع. فمن الأمة من صنع بأبجدية قصائده في واقع الحياة خطوطاً تنتهي إلى حيث الكرامة والشرف السامي لمن أراد أن يعيش عزيزاً وطيلاً في أرض الله، ومن هذا التراث الإنساني نشأ أدب المقاومة، فهو أدب الصرخة الشجاعة بوجه الظالم، و صيحة المظلوم بوجه الغاصب المستبد، يدعو أبناء الأمة لنبذ المذلة عن أعناق عباد الله. ومن معالم هذا الأدب الأصيل، شاعرنا أحمد مطر، الشاعر العراقي المعاصر، وفي ما يلي نسلط الأضواء على بعض ملامح أدب المقاومة في شعره.

٢- ولادته

«ولد أحمد حسن مطر عام ١٩٥٦ م إناً رابعاً لأسرة فقيرة تتكون من عشرة أخوة من البنين والبنات» (غنيم، ١٩٩٨م، ص ٤٩).

ولد شاعرنا في إحدى قرى العراق تدعى (التنومة) في البصرة وهي إحدى نواحي (شط العرب) تمتاز البصرة بكثرة النخيل، ولكن الفقر هو مظهر آخر للمدن العراقية الجنوبية، فسكانها البسطاء يعتمدون على صيد الأسماك والزراعة ويهتمون بتربية الجاموس. أما طبيعة هذه القرية فهي ذات بساطة و رقة وفيها الأنهار والجداول، ونظراً إلى فقر سكانها فتحتوى على بيوت من الطين والقصب. وكثرة البساتين والأشجار والنخيل يجعل منظرها خلّاباً يثير إعجاب الناظرين.

عاش أحمد مطر طفولته هناك بالقرب من (بستان صفية) و (نهر الشعيبي) و النخيل الكثيرة في (كرولان). وها هي الطبيعة التي تشكل القرية، فهي العناصر التي تركت بصمتها على وجدان الشاعر.

ترعرع أحمد مطر في أحضان الفقر والحرمان، الذين يكابدهما سكان المدينة، إضافة إلى إظهاد النظام المستبد في كل شؤون الحكم؛ فتأثر أحمد مطر بتلك العناصر الطبيعية من النخيل وغيرها التي تثير الإعجاب، كما أخذت سطوة الحكم من روحه ومشاعره كأخذها ما نراه بوضوح في نغماته الشعرية. كل هذه العناصر كانت تدفع الشاعر إلى أمام والواقع المرير الذي تجرّعه الشاعر وهو يضغط على كل جوارحه، ما ظهر صرخة معبرة عن كل آلامه في قصائده الشعرية وهو في السن الرابعة عشرة في أوائل السبعينات.

و عندما بدأ الشاعر بنظم قصائده، كانت قصائده الأولى فى الغزل. وكان لتلك الطبيعة والنخيل والمياه الكثيرة والحرمان والبيوت القصيبة دوراً فى نظم الشعر الوجدانى الجيد لأحمد مطر. ولكن حرمان الشعب والفقير والاضطهاد من قبل السلطات و صراع السلطة الحاكمة والشعب والقسوة والتعذيب ومرارة الواقع كان دافعاً لنظمه الشعر السياسى و وقوفه موقفاً جريئاً بوجه السلطة.

«إنّ الأدب العراقى... أدب حىّ يحمل فى طياته آمال الأمة الناهضة المتطلعة إلى الحرية والاستقلال، الطامحة إلى العلم والرخاء بعد عصور طويلة من الجهل والفقير والتخلف... ولم يخل من التطلع إلى الماضى وأمجاد الزاهية، ولم يهمل دفعات القلب المغرم بالحبّ والحياة... وسائر المشاعر التى تعصف بالنفس البشرية وتثيرها أو تهدّها حيناً بعد حين.» (بصرى، ١٩٩٩ م، ص ٢٥).

نعم، إن أحمد مطر ترعرع فى هذه البيئة من الأدب ومن يترعرع فى بيئة كهذه، لابد أن يكون شاعراً عملاقاً. فهو ضمير الأمة ولسانها الناطق الذى نشأ وتقدّم فى هذه البيئة السياسية والاجتماعية.

٣- شخصيته

تميّزت طفولة أحمد مطر بالفقر والحرمان فهو عاش فى بيت يتكوّن من عشرة أخوة ونظراً إلى الحياة الزراعية هناك نشأ أحمد مطر فى الفقر، وقد تعرّف فى الدراسة، ولجأ إلى الكتب لتكون ثقافته من خلالها وعندما لجأ إلى الشعر السياسى صار يُطارَد من قبل الحكومة والسلطة الحاكمة. وطارده الإرهاب واضطرّ الشاعر لاجئاً إلى الكويت.

و «هناك بدأت تتكشف فى اللجوء شخصية الشاعر عن روح الفنان المتمرد، وبدأت أشعاره الناضجة تفرع الأجراس فى كلّ زاوية من زوايا الوطن العربى» (غنىم، كمال أحمد، ١٩٩٨ م، ص ٥٣).

اعتقد الكثير أنّ اسم (أحمد مطر) هو اسم مستعار ويصفونه ضمن جنسيات عربية مختلفة وساعد هذا الاعتقاد الصورة الغامضة للشاعر.

ولكن «أكد الشاعر أن اسمه ليس مستعاراً فى أكثر من مناسبة، ويبنّ حقيقة جنسيته - وفق بطاقة الهوية والجنسية - وأنه ينتمى إلى العراق، الذى، يمثل جزءاً من وطنه الكبير الممتد من المحيط إلى الخليج» (المصدر نفسه، ١٩٩٨ م، ص ٤٢).

.... هنا أحمد مطر يؤكد على انتمائه إلى الأمة العربية فهو وإن نفى من بلاده فهو لا يزال يحن إليها ويتمنى الرجوع إليها، ويحمل لها وإلهها الحب والحنين. وعن انتماء آخر للشاعر يعلن أحمد مطر في كثير من المناسبات، انتماءه إلى الحضارة الإسلامية، حيث يقول: «أنا ابن بيئة عربية ورييب حضارة إسلامية، وفي وجداني من آثارها فيض لا يغيض» (المصدر نفسه، ١٩٩٨ م، ص ٤٣).

فنرى الشاعر هنا يعتزّ بالحضارة الإسلامية متأثراً بمعالمها حيث نجد الكثير من النصوص القرآنية قد وردت لفظاً أو معنى في قصائده الجميلة. خذ المثال التالي لقصيدة له ينهج فيها منهجاً قرآنياً:

والعصر...

إنّ الإنسان لفي خسر

في هذا العصر

فإذا الصبح تنفّس

(مطر، أحمد، ج ١، ١٩٨٤ م، ص ١٢٧)

وله في قصيدة أخرى:

قرأت في القرآن

تبّت يدا أبي لهب

فأعلنت و سائلُ الإذعان

أنّ السكوت من ذهب

أجيبتُ فقري... لم أزل أتلو

وَتَب

ما أغنى عنه ماله وما كسب.

(المصدر نفسه، ج ١، ١٩٨٤ م، ص ١١)

نلمس هنا الأسلوب القرآني في شعر أحمد مطر متخذاً هذه البلاغة قدوة له ومثلاً أعلى يطرز بها كلماته على هذا المنوال الطريف. ونجده أيضاً مليئاً بالحزن والأسى لكنّه يمزج هذا الحزن والأسى بالسخرية.

فله من قصيدة:

بيتي أنا تملأه العناكب

بيتي أنا عنكبوت

مثل جميع البيوت

...

عازمة أن تفوت
بين يديها كفنٌ وتابوت
وكوبٌ دمع ساخن... ونادب
يأمرنى بالسكوت
يأمرنى أن أموت.

(المصدر نفسه، ج ١، ١٩٤٨ م، ص ١٤٨)

نرى هنا الكلمات والموسيقى العذبة والتشبيهاً التي تثير الإعجاب في غاية
جمالية عالية.

«يتميز أحمد مطر بشجاعة نادرة يفسرها بهستريا الحرب، التي تعترى أجبن الناس
في ميادين القتال، فطول معاشرته للخوف جعله داجناً بالنسبة إليه، يتجاهل وجوده
ويسخر منه بالإضافة إلى قناعته بمرارة الواقع الذي لا يعدو عن كونه نوعاً بشعاً من أنواع
الموت، لذلك فإنه يختار أن يموت واقفاً ميتة نقيّة، لا كما يموت الآلاف يوماً ميتة
قدرة، ميتة الإذعان والصمت، فالشاعر بهذا الحزن والشجاعة يمثل شخصية قلقة
متمردة» (غنيم، ١٩٩٨ م، ص ٤٣).

٤- ثقافته

إن لجوء الشاعر إلى الكتب بعد تعثره في الدراسة ساهم في تكوين ثقافته التي
أخذها من البيئة العراقية والطبيعة التي تسحر العيون بجمالها.

«وقد ساهم في تشكيل ثقافته ولعه بالنصوص المسرحية والتمثيل المسرحي،
وانشغاله في الصحافة، وممارسته لكتابة القصّة القصيرة التي تظهر شروطها قائمة في
العديد من قصائده، بالإضافة إلى ممارسته لرسم الكاريكاتور الذي مارسه من خلال
عمله في الصحافة» (المصدر نفسه، ١٩٩٨ م، ص ٤٤).

إن لوحاته وروسوماته الفنيّة تحمل تعليقات على الواقع السياسي والواقع في
العالم العربي. أحمد مطر قرأ للعديد من الشعراء القدامى فهو قرأ للمتنبى والمعريّ
والحمداني وقرأ أيضاً للشعراء العرب المحدثين نحو أدونيس والبياتي وفي هذا
الصدى يقول:

«إن الشعر العربي الحديث لم يفقد روح الإبداع والتواصل مع الجماهير، طالما
وجد الناس شعراء مثل نزار قباني، والجواهري وبدوى الجبل والسياب وأمل دنقل،

والبردونى و أحمد عبدالمعطى حجازى ومظفر النواب» (المصدر نفسه، ١٩٩٨ م، ص ٤٥).

عندما نلقى نظرةً إلى هؤلاء العظام نرى أنّ الشاعر كان متأثراً لعلّه بشعراء السياسة والثورة والحريّة أمثال الشاعر الكبير نزار قباني. فهؤلاء كثيراً ما حاربوا قمع الحريات والاضطهاد من قبل السلطات و حفروا بكلماتهم الجارحة الخوف فى صدر السلطات، من نبضات قلب الشاعر ومن دوىّ وصُراخ ضمير الأمة الذى لم يهدأ مهما كان هناك قسوة و تعذيب لأبناء الشعوب.

وأيضاً تأثر أحمد مطر من شعراء عالميين حديثى العهد نحو:

(شير كوبيه س) و (رسول حمز اتوف) الداغستاني و (رابندرات طاغور) الهندى فكل هؤلاء الشعراء العظام كان لشعرهم ومكانة أدبهم صدى فى شعر أحمد مطر. تذوّق من جمال شعرهم الذى دائماً ينادى بالحريّة والقضايا الإنسانية. وقرأ أحمد مطر للشاعر السورى (زكريا تامر) الذى نهج فى شعره نقد الواقع بسخرية مريرة لاذعة. ولعلّ أحمد مطر تأثر شديداً بالتأثر بهذا الشاعر نظراً إلى قصائده التى تحتوى على السخرية المريرة ونقد الواقع المرير بالسخرية اللاذعة.

٥- المنفى

عندما كان أحمد مطر يلقى القصائد الساسية فى الاحتفالات، كانت هذه القصائد تحتوى على أكثر من مائة بيت، وتحرضّ الناس و تدفعهم إلى النهوض، و كان أيضاً يبيّن فى هذه القصائد كيف تضغط السلطات على المواطن ولا تتركه ليعيش عيشة هنيئة وقد دفع أحمد مطر ثمن هذا الموقف مما اضطر فى اللجوء إلى الكويت هرباً من مطاردة السلطة الحاكمة.

وكان أحمد مطر فى تلك الفترة فى بواكير حياته، ثمّ راح يعمل فى جريدة (القبس) الكويتية محرراً فصار هناك يكتب قصائده. وكانت تلك القصائد فى الغالب تحمل موضوعاً واحداً، وتعتبر جريدة القبس القفزة الأولى له، وقد سببت له الشهرة وسجّلت لافتاته الشعرية، دون وجل.

«وقد كان أحمد مطر يبدأ الجريدة بلافتة من لافتاته فى الصفحة الأولى، ويختمها ناجى العلى بلوحة من رسوماته فى الصفحة الأخيرة وقد ترافق الاثنان من منفى إلى منفى» (المصدر نفسه، ١٩٩٨ م، ص ٥٢).

نشرية ادبيات پايدارى / ٥٧

ولا يستطيع أحمد مطر التخلص من الحزن والأسى، فكلماته الحادة وكتابه الصريحة أثارت غضب السلطات فنفى أحمد مطر من الكويت وأبعد من هناك. و يذكر الشاعر الألم والحزن الذى تألم به هناك فى فترة كان فيها بعيداً عن الأهل والوطن. له من قصيدة فى هذا الشأن:

أنا يا كويت قداكتويت، وربما
بشواظ نارى تكتوى النيران
صحراء همى مالها من آخر
وبحار حزنى مالها سلطان
تبكى شرايبنى دماً فى مدمعى
وبأدمعى تتضحك الأحزان
أنت القريبة فى اللقاء وفى النوى
وأنا بحبى الغارقُ الظمان
لى منك ماللقلب من خفقاته
ولديك منى الوجد والعنوان
فلقد حملتك فى الجفون مسهداً
كى لايسهد جفئك الوسنان
وملأت روى منك حتى لم يعد
منى لروحي موضع ومكان!
ماذاب من فرط الهوى بك عاشق

مثلى، ولا عرف الأسى إنسان! (مطر، ١٩٩٠ م، صص ١٩ و ١٨).

فهو وإن كان بعيداً عن بلدة العراق يعتز بتواجده فى الكويت وهو يذكر حبه وحنينه إليها. و «ينتقل الشاعر فى مطلع عام ١٩٨٦ م، إلى لندن» (غنيم، كمال أحمد، ١٩٩٨ م، ص ٥٣).

عمل هناك فى مكاتب (القبس) الدولية و سافر من هناك إلى تونس واتصل هناك بعدد كبير من كتاب تونس، ولكن بعد ذلك استقر فى لندن فصار بعيداً عن أرجاء الوطن العربى، يصرخ لبعده الوطن ويهتف بحبه وحنينه. ومما زاد حزن أحمد مطر أنه فقد صديقه الرسام ناجى العلى، فحزن عليه و تأثر بمماته تأثراً شديداً، فهو

فقد صديق مشوار العمر. نعم، هذا هو أحمد مطر الذي لا يفارقه الحزن والألم فهو وإن كان بعيداً كلّ البعد عن الوطن، فما زال ينادى ويصرخ للحرية ويطالب الشعب بالتحريض والثورة ضد الطغيان.

عندما يحصل هذا ترجع الروح المفارقة الجسد إلى مكانها ويعود الطائر إلى أحضان الأشجار مغرداً لحبّ الوطن وصادحاً بنشيد الحرية والخلاص. إنّ أبرز ما اتصف به أحمد مطر الالتزام السياسي والاجتماعي في شعره وفي أساس ذلك الالتزام أفكار وآراء ومواقف تتناول حياة الإنسان العربي ولاسيّما العراقي في الماضي والحاضر على الصعيد السياسي والاجتماعي والاقتصادي.

ومن أهمّ الأغراض التي عالجها أحمد مطر في شعره، الحرية والاستقلال ورفض ظلم الحكام، والثورة على الطغيان والاستبداد في سبيل نيل حرية الوطن وحق الشعب في تقرير المصير في المجتمع العربي بصورة عامة والمجتمع العراقي بصورة خاصة. أمّا حصاد تجربته السياسية فكان مريراً تماماً، إذ دفع ثمن هذا بالابتعاد عن الوطن، وصار أحمد مطر يحلم بتحقيق العدل والحرية، بيد أنّ أحمد مطر أحبّ العراق وهو من ثوار الكلمة والموقف.

٦- شاعر الوطن والمجتمع

إن أحمد ريبب للفقر والحرمان. فهو تذوق الحرمان وتعایش مع الفقر بكل جوارحه ولمس الواقع المرير للأمة العربية والشعب العراقي واضطهاد الحكومات بجميع أحاسيسه، فأصبحت القضية السياسية قضيته الأولى.

فهو يكتب للأمة العربية بكافة أقطارها، ويدعو الناس إلى الثورة ضدّ الزمرة الحاكمة في البلاد وبأسلوب لاذع ينقد اضطهاد الحكومات العربية ضدّ أمتها، ويطالب بالحرية كما اهتمّ بالقضية الفلسطينية وكتب لأبناء الحجارة وعبر عن حبه للبلاد العربية. شاعرنا هذا ثمرة الغضب في وجدان كل عربي يصرخ وينادي للحرية؛ فهو لم يصمت أمام الواقع المرير هذا، فكان يعبر عنه بأرقّ وأعذب الكلمات، فقصائده مرآة لواقع مرير ومعاناة شعب امتدّ من الخليج إلى المحيط على حدّ قوله:

«إن قصائده هي صورة من معاناته وأفكاره الخاصة التي انفعّل بها وصاغها»

(المصدر نفسه، ١٩٩٨ م، ص ٤٧).

٧- حبه للوطن

إنّ الوطن يبقى خالداً فى ضمير كل شاعر، فالوطن يمثل للشاعر تمام الحب، فكثيراً ما تغنى الشاعر بحبّ الوطن وهو يمثل حُبّه الأول فالوطن لا يشتري بمال، فهو تاريخ الشعب وماضيه وحاضره ومستقبله. قال أحمد مطر فى هذا الصدى:

يا وطنى
ضقت فى قلبى
و كنت لى عقوبة
و كنت أنت صاربى وموضع الضرب
طردتنى
فكنت أنت خُطوتى
أصبحت فى حبى
معجزة
حين هوى قلبى فدى قلبى
يا قاتلى
كفاك أن تقتلنى
من شدة الحب
(مطر، ج ١، ١٩٨٧ م، صص ٧٠ و٧١).

هذا هو حال الشاعر الملتزم الذى يحبّ وطنه فيتضح من هذا الكلام مدى حبّ الشاعر لبلاده، فهو عاشق يكابد الموت والفناء على يد حبيبه وهو الوطن. وهو يشير إلى حبّ الوطن والتمسك به مما جعله منقياً نائياً عن وطنه. فهو يخاطبه ويقول له طردتنى أى كان سبب حبى لك وحرصى على أبنائك حصادة النفس والابتعاد عن هذا الوطن الغالى العزيز.

«لا يمكننا بأى من الأحوال أن نفصل مسألة الوطن والوطنية عمّا تشكله هذه المسألة من عمق وجدانى وشعور عاطفى يتصل بالجوانب المحمية لدى كل إنسان وتتناغم العاطفة مع الفعل لتشكّل حالة سامية من الحبّ فإنّ حبّ الوطن والدفاع عنه والحنين إليه جزء طبيعى من حياة الإنسان» (محفوظ، ٢٠٠٣ م، ص ٢١).

فإذا كان هذا الشخص شاعراً يتسم بأسمى العواطف الوجدانية وأعذب الكلمات وهو يصنع من الكلمات والحروف أنعاماً تتراقص فى حبّ الوطن، فهكذا يبين لنا

الشاعر في كلماته إحساسه، فيا وطني لك الحبّ ما دُمتُ حيّاً فأنت تمثل لي كلّ الحبّ بداخلي شيءٌ باسم الحبّ. فلولاك لما تسلّل في قلبي شيءٌ من الحبّ الأصيل.

٨- فلسطين

أمّا القضية الفلسطينية فتبقى الرّمز. فكُلّ شاعر داعب الكلمات وصنع الشعر لم ينسَ هذه القضية، كما صنع أحمد مطر. فلسطين عند أحمد مطر، هي الرمز وقد تغنّى بها وراح يطلق الكلمات ويعبّر عن مدى عمق الجراح هناك. وأنّ فلسطين باقية وما زال النزال مستمراً رغم أن حكّام العرب يبدو أنهم قد نسوا فلسطين، فهم مشغولون على هزّ القناني وعلى هزّ البطون ولكن وإن مرّ زمنٌ على هذه القضية لكنّ الشرفاء سيعيدون الأرض المغتصبة للوطن الحبيب، فيقول هو في هذا المجال:

هرم الناس وكانوا يرضعون
يا فلسطين وما زال المُعنى يتغنى
وملايين اللحون
واليتامى يولدون
يا فلسطين وأرباب النضال المدمنون
ساءهم ما يشهدون
على هزّ القناني
وعلى هزّ البطون
(مطر، ج ١، ١٩٨٤ م، صص ٤١، ٤٠).

إنّ هذه الكلمات تعبر عن الأسى إزاء القضية الفلسطينية المنسية من قبل حكّام العرب فهم مشغولون عنها بالجوارى والملاهي البغيضة.

٩- القدس

أمّا أكثر المدن الفلسطينية التي تغنّى بها الشعراء فهي القدس، إذ هي رمز للأمة الإسلامية فكثيراً ما حزن الشعراء لهذه المدينة لما حلّ بها من آلام ومصائب. فنجد أحمد مطر يتغنى بمجد هذه المدينة معترفاً بأنّه يملك الكلمات والحروف فقط إذ هو شاعر نائر يستميح العذر، ولكن شأنه لا يسمح له ذلك بما أنه يشعر بمسئوليته إزاء ذلك الوطن الحبيب.

وهو غير مبسوط اليد للذود عن حياضها إذ الحكمُ والأمر لغيره، من حكّام وأمرء ليضعف المكرُّ دون مكرهم وخداعهم:

يا قدسُ معذرة و مثلى ليس يعتذر
مالى يد فى ما جرى فالأمر ما أمروا
و أنا ضعيف ليس لى أثر
عار على السمع و البصر
و أنا بسيف الحرف أنتحر
و أنا اللهب و قاذى المطر
فمتى سأستعر
لو أن أرباب الحمى حجر
لحملت فأساً دونها القدر
هو جاء لا تبقى و لا تذر
لكنما أصناماً بشر
الغدر خائف منهم خدر
و المكر يشكو الضعف إن مكروا
(المصدر نفسه، ج ١، ١٩٨٤ م، صص ٦٨ و ٦٩).

هذا هو أحمد مطر فكلماته كأنها سيف حاسم يوقظ الضمائر النائمة و القادة المتآمرة فهو يصرخ بأعلى صوته لما يجرى فى الساحة العربية من صمت تجاه هذه المدينة التى يحمل لها كل الحب و الحنان و ليس باستطاعته فعل شىء سوى التعبير عما يشعر دون هذه المدينة الصامدة.

«و يحمل الشاعر قضية القدس فى وجدانه، و هو الإنسان العربى المنفى المطارد، لا يمتلك سوى كلمته، التى كلفته أصناف العذاب و هو يحاول أن يعتذر للقدس عن عجزه و عدم قدرته على الجهاد المسلح، لأنه مبعث عن الميدان، محروم من استخدام الأسلحة، مكبل اليدين بقيود الأنظمة المتخاذلة المتواطئة، لكنه يأبى إلا أن يقول كلمته ليفجّر الوعى فى وجدان الأمة لتطيح برؤوس التخاذل، و ينتصر للهب على المطر» (غنىم، ١٩٩٨ م، صص ٧٦ و ٧٧).

١٠- الالتزام القومى و حُبّ البلاد العربية

و من البلاد العربية التى تغنى بها لبنان لما حلّ بها من دمار إثر التمدخل الأمريكى لمساعدة إسرائيل و سكوت المجامع العربية إزاء ذلك فلم تسمع سوى التنديد من قبل هذه المجتمعات و الحكام العرب المتآمرين مع العدو، و المؤتمرات العربية لا جدوى

فيها، فحبّ هذا الديار شغف قلب الشاعر و التهاون العربي قائماً على أكفان خرائب هذه البلاد.

نرى لبنان لم يغيب عن أوراق قصائد أحمد مطر، فصرخ أحمد أيضاً من تخاذل الحكام و الهوان من قبل المؤتمرات و الجامعات العربية و راح يندد نسيان هذه البلاد و الاكتفاء بالتصريحات من قبل حكام العرب و سكوت هذه المجامع لحصول رضاء أمريكا و من قوله:

صَفَّت النية يا لبنان

صَفَّت النية

لم نُهملك ولكن كُنَّا

مختلفين على تحديد الميزانية

ما مقدارُ جفاف الرّيق

في التصريحات الثورية؟

في ضوء تقارير الوضع بموزمبيق

صَفَّت النية

فتهانينا يا لبنان

جامعة الدّول العربية

تهديك سلاماً و تحية

تهديك كتيبة ألحان

و مبادرة أمريكية

(أحمد، ج ٣، ١٩٨٤ م، صص ٤٥ و ٤٦)

فأحمد مطر لا ينسى و لن يتناسى بيروت الحبيبة فيطلق كلماته رصاصاً على نحر حكام العرب لما حلّ بهذه المدينة من خراب و هو يندد هذه الحركة من قبل الحاكم العربي إذ قيّد الشباب العربي من سل السيوف في وجه العدو و هو أيضاً لا ينسى الأسلوب القرآني في هذه القصيدة، فهو القائل:

صَلُّوا على روحها و اندبوها

و سلّوها سيوف الشباب لمن قيّدوها

و من ضاجعوها

و من أحرقوها

ولكن خيط الدخان

سيصرخ فيكم: دعوها
و يكتب فوق الخرائب:
إذ دخلوا قرية أفسدوها

(المصدر نفسه، ج ١، ١٩٨٤ م، صص ٩٦ و ٩٧)

نجده يستخدم فن الاقتباس و ذلك من سورة النمل الآية رقم ٣٤ إذ جاء فى
القرآن الكريم:
«قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة و كذلك يفعلون».

١١- بلاد الماضى المجيد

و من البلاد العربية التى كان لها تأريخ عريق و ماضٍ مجيد هى العراق؛ فالشاعر
يحتج لما حلّ بهذا البلد ممّا يحمله من تأريخٍ سامٍ و إنجازات، فضغوطات الحكام و
انتهاك حقوق شعبها و ممارسة الظلم و العدوان و الموت و الإعدام، حلّ بدلاً من
التاريخ السامى و البطولات فهو ينطلق فى قصيدته من الماضى المجيد الذى عرفته
بغداد يوم كانت عاصمة الحضارة فى العالم و كان العرب أصحاب هذه الحضارة عندما
كانت بغداد دار السلام فيربط بين الماضى و الحاضر الذى مكّن الظلم والاستبداد منها
بعد الهيبة والعزة فى عهدها القديم و من قصيدة له:

مدينة منذ وُلدت
تقاعد الموت بها
و انشغل الإجرام
و أهون الأحكام فى قانونها
عقوبة الإعدام
مدينة عظيمة
كان اسمها و لم يزل
مدينة السلام

(المصدر نفسه، ج ٦، ١٩٩٦ م، صص ٦٦ و ٦٨)

١٢- أبناء الحجارة

فمن القضايا التى اهتم بها الشاعر قضية أبناء الحجارة لم ينسَ أحمد مطر الصغار
فهتف لأبناء الحجارة فصنع منهم أبطالاً يرمون العدو الإسرائيلى بقذائف من حجر و

هم رغم صغر سنهم يصنعون البطولات أمام دبابات العدو و طائراتهم. فهم يأخذون الحجارة من تلك الأنقاض من تلك البيوت التي هدمها العدو. يأخذون الحجر و يرمونها و يجعلون الرعب في صدر العدو. فاستطاع أن يلد هذا البلد أطفالاً ثواراً لا يعرفون اليأس. ها هم الأطفال الذين يحملون حجارة منازلهم المدمرة؛ هذا هو الطفل الذي سيرسم مستقبل فلسطين بنضاله.

إرم الحجر

يمتشقُ العدو بندقيّة

و يرسل النار عليهم كالمطر

لكنّما هم صامتون كالحجر

و صامدون كالحجر

إرم الحجر

يُفتش العدو عن إقدامه

فلا يرى لها أثر

يبصرُ فقد عزمه

يبصرُ فقدان البصر

إرم الحجر

إرم الحجر

(مطر، ج ١، ١٩٩٨ م، صص ١٥ و ١٦)

و كتب أحمد مطر للطفل العربي أيضاً كما هتف للطفل الفلسطيني و هو كلّه ثقة بأبناء هذا الوطن الكبير لكي يصبحوا رجالاً أشداء و مناضلين مخلصين، هذا الجيل سيرسم مستقبل هذه الأمة لكي يزدهر هذا البلد بأبناء الأمة الذين سيصنعون البطولات، فهو جيل الانتقام و مهما تعرضوا للقسوة فهم أمل الغد و هم سيولدون من كل مكان، فهم صنّاع الثورة. و له أيضاً:

قطفوا الزهرة

قالت:

من ورائي بُرعمُ سوف يثور

قطعوا البرعم

قالت:

غيره ينبضُ في رحم الجذور

قلعوا الجذر من التربة
قالت: إننى من أجل هذا اليوم
خبأتُ البذور
كامنٌ تأرى بأعماق الثرى
و غداً سوف يرى كُلى الورى
كيف تأتى صرخة الميلاد
من صمت القبور
تبردُ الشمسُ
و لا تبردُ ثارات الزهور.

(مطر، أحمد، ج٦، ١٩٩٦ م، صص ١٠ و ١١)

فمهما قتلوا الأطفال سوف يأتى زمن يطفح أبناء هذه الأمة فى وجه العدو و ترى
كلّ الناس فى هذه الكرة الأرضية كيف أطفال اليوم يصبحون أبطالاً فى أعماقهم و
يمحون العدو من على الخارطة فمهما قتلوا فالأمل ما زال موجوداً عند أبناء هذا
الشعب.

الاستخبارات و الاستجواب:

قال أحمد مطر فى هذا الشأن:

كلبُ و الينا المعظم

عضنى اليوم و مات

فدعانى حارسُ الأمن لأعدم

بعد ما أثبت تقرير الوفاة

أن كلب السيد الوالى

تسمم

(مطر، ج٢، ١٩٨٧ م، ص ١٢)

اللهجة الساخرة تتحول إلى واقع مرير يكشف الشاعر عنه فى البلاد العربية و فيها
ظلم عصابة الحكام يضغطون بكل الطرق على الأفواه التى تحاول أن تكشف عن
ظلمهم و جرائمهم.

«يرز الشاعر صورة الواقع العربى الزاخر بالمخبرين و التقارير المزورة، و

المحققين الذين لا يعرفون الرحمة» (غنيم، ١٩٩٨ م، ص ٧٢).

فىغتيال المواطن و يعدم إثر تقارير مزورة غير صادقة فىرجع الشاعر إلى الوراء و يعبر عن ظلم الحكام بظلم الولاية و نجد هنا سخرية لأذعة تعبّر عن المخبرين أو الشرطة التى تحرس أمن الولى بالكلاب.

١٣- الحرية و النضال

أحمد مطر كتب عن الحرية التى لا تتحق إلا بقوة السلاح فقصيدته تزرع الحماس فى الصدور و تتوعّد الظالم المستبدّ بالمحاربة فهو ينادى الغيارى من أبناء الشعب فعلى الشاعر دىنّ تجاه شعبه فهو يحذرهم إلى أن الطريق الوحيد لنيل الحرية هو قوة السلاح.

لا تطلبى حريةً أيتها الرعية

لا تطلبى حُرّية

بل مارسى الحرية

قولى له إنى ولدت حُرّة

قولى له: إنى أنا الحرية

إن لم يصدّقك فهاتى شاهداً

و ينبغى فى هذه القضية

أن تجعلى الشاهد البندقية .

(مطر، ج ٥، ١٩٩٢ م، صص ٩٨ و ٩٩)

و أيضاً قال:

أيتها الشعب

لماذا خلق الله يدىك

ألكى تعمل

لا شغل لدىك

ألكى تأكل

لا قوت لدىك

ألكى تكتب

أنت لا تكتب بل تُكبتُ

من رأسك حتى أخصىك

فلماذا خلق الله يدىك، حتى تسوى شارىك

نشرية ادبيات پايدارى / ٦٧

حاش لله

(المصدر نفسه، ١٩٩٨ م، صص ٧٦)

نرى هنا أسلوب السخرية اللاذعة رغم تحريض الشعب بالقيام و النهوض ضد الفساد و الظلم من قبل الطغاة فهو يسخر من الشعب و من سكوته و لقد خلق فيه الله اليد ذات قوة ليس لقتل الشوارب بل للقيام ضد الطغاة و ظلمهم.

١٤- الهيمنة الأمريكية

ندد أحمد مطر في شعره نفوذ أمريكا في البلاد العربية و الهيمنة على مقدراتها و السيطرة على العالم. و قال أحمد مطر في هذا الشأن:

وطنى ثوب مرّقع
... تسمح أن تدخل أمريكا علينا
في شؤون السلم و الحرب
و فى السلب و فى النهب
و فى البيت و فى الدرب
و فى الكُتب
عربٌ نحن ولكن
أرضنا عادت بلا أرض
و عدنا فوقها دون هوية
فبحقّ البيت
أعطنا يا ربّ جنسية أمريكا
لكى نحيا كراماً
فى البلاد العربية

(مطر، ج٢، ١٩٨٧ م، صص ١٦٢-١٦٥)

فهنا أحمد مطر يتألم من السيطرة الأمريكية و التسلّل الأمريكى فى الأمور الداخلية كما يتألم للإنسان العربى الذى لا يملك كرامة و حرية فى وطنه و أمريكا تسود العالم العربى، فكأن سطوتها و سيادتها على البلاد العربية كسيادتها على أراضيها، مما جعل الشاعر أن يطلب من ربه فى بلاده العربية جنسية أمريكية تحميه و تقيه من شرهم و بغيهم!!

النتيجة

تستفاد النتائج التالية من هذا البحث:

- ١- أحمد مطر، خلافاً لمن زعم، أحد أركان أدب المقاومة في العالم العربي الحديث.
- ٢- مظاهر أدب المقاومة في شعر أحمد مطر، تشمل على عدة مواضيع.
- ٣- حبّ الوطن و اظهاره قوياً في اشعاره و نحن نجده في مواضيع مختلفة.
- ٤- ذكر فلسطين كارضٍ محتلةٍ عربيةٍ و اسلاميةٍ بارزٌ في اكثر اشعار احمد مطر.
- ٥- القدس، كرمز للمقاومة الاسلامية، لها مكانة سامية في آراء احمد مطر، حيث يشير اليها عدة مرّات و ذلك من خلال عدّة قصائد.
- ٦- مكانة عراق في أشعار احمد مطر مكانة رفيعة و عالية المستوى، لأنّ العراق أرض أحمد مطر و أرض أمجادها الماضية و أرض النضال من أجل التحرير و هذا ما هو نجدة في مختلف قصائده.
- ٧- لبنان كقطر عربي هام، أيضاً لها مكانة خاصّة في اشعار احمد مطر لانها واقعة في جبهة النضال الامامية مع العدو الصهيوني.
- ٨- الالتزام الوطني، وصف مصائب المنفى، سيطرة اميركا على العالم، الحربة و النضال، و ثورة أبناء الحجر، من أهم موضوعات احمد مطر الشعرية تلك الموضوعات التي تتبلور فيها صورة عالية من أدب المقاومة.

المصادر

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- بصرى، مير: أعلام الأدب في العراق الحديث، دار الحكمة، لندن، ١٩٩٩م.
- ٣- شكيب أنصاري، محمود: تطور الأدب العربي المعاصر، دانسگاه شهيد چمران، اهواز، ١٣٧٦هـ.ش.
- ٤- غنيم، كمال أحمد: عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر، مكتبة مدبولي، ١٩٩٨م.
- ٥- الفساخوري، حنا: الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب الحديث، منشورات ذوى القربى، بلاتا.
- ٦- محفوظ، محمد: الواقع العربي و تحديات المرحلة الراهنة، دار الشرق الثقافة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م.
- ٧- مطر، أحمد: ديوان الساعة، لندن، ١٩٨٩م.

نشریه ادبیات پایدارى / ۶۹

- ۸- مطر، أحمد: العشاء الأخير لصاحب الجلالة إبليس الأول، لندن، ۱۹۹۰م.
- ۹- مطر، أحمد: لافتات، الكويت، ۱۹۸۴م.
- ۱۰- مطر، أحمد: لافتات، لندن، ۱۹۸۷م.
- ۱۱- —: لافتات، لندن، ۱۹۸۹م.
- ۱۲- —: لافتات، لندن، ۱۹۹۰م.
- ۱۳- —: لافتات، لندن، ۱۹۹۲م.
- ۱۴- مطر، أحمد: لافتات، لندن، ۱۹۹۴م.
- ۱۵- مطر، أحمد: لافتات، لندن، ۱۹۹۶م.